# أحد حاملات الطيب، البشارة الثانية


## الأستاذ جورج مانتزاريذس

**نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي**


يُقام في يوم أحد حاملات الطيب عيد آخر أكبر: عيد البشارة الثانية للسيدة العذراء. عيد بشارتها كأم الخليقة الجديدة، كأم أبناء القيامة.

يلاحظ القديس غريغوريوس بالاماس أن قيامة المسيح هي قيامة الطبيعة البشرية واستعادة آدم القديم إلى الحياة الأبدية غير الفاسدة. وكما أن أول شخص رأى آدم القديم كان امرأة أي حواء، فإن أول مَن رأى آدم الجديد، المسيح، بعد قيامته التي جددت الطبيعة البشرية، كانت أيضًا امرأة. هذه المرأة لم تكن مريم المجدلية، بل السيدة العذراء، كما يتّضح من مقارنة تفصيلية لتكوين روايات القيامة في الأناجيل الأربعة، وهو تحليل قام به في الواقع القديس غريغوريوس بالاماس.

نقرأ في نهاية إنجيل مَرقُس: "وَبَعْدَمَا قَامَ بَاكِرًا فِي أَوَّلِ الأُسْبُوعِ ظَهَرَ أَوَّلًا لِمَرْيَمَ الْمَجْدَلِيَّةِ، الَّتِي كَانَ قَدْ أَخْرَجَ مِنْهَا سَبْعَةَ شَيَاطِينَ" (٩:١٦). لكن الإنجيلي نفسه الذي ذكر هذا كأول ظهور للمسيح كتب قبل ذلك بقليل في روايته، في المقطع الذي يُقرأ ليلة عيد الفصح، أن مريم المجدلية ومريم [أم] يعقوب (أي سيدتنا) وسالومي اشترين الحنوط وجئن إلى القبر "بَاكِرًا جِدًّا" (٢:١٦).

إذاً، ظهور المسيح لمريم المجدلية لم يحدث "باكراً جدًا" بل "باكراً" وحسب. يبدو أن هذه زيارة ثانية أو حتى ثالثة لقبر المسيح. في زيارتها الأولى، التي حدثت "باكراً جداً"، اكتشفت، كما لاحظ القديس يوحنا الإنجيلي، أن "الحجر قد دُحرِج من القبر". ركضت إلى بطرس و "التلميذ الآخر الذي كان يسوع يحبه" وقالت لهما: "أَخَذُوا السَّيِّدَ مِنَ الْقَبْرِ، وَلَسْنَا نَعْلَمُ أَيْنَ وَضَعُوهُ!" (يو٢:٢٠).

يلاحظ القديس يوحنا من جديد، كان القبر "قريبًا" (٤٢:١٩). إلى هذا، كان هناك عدد من النساء اللواتي يحملن الطيوب. لم يذهبن إلى القبر مرة واحدة فقط، بل مرتين أو ثلاث مرات، كما توضح نصوص الإنجيل، يرافقن بعضهن البعض في مجموعات لم تكن دائمًا نفسَها. كما أن المجدلية ذهبت بنفسها.

لم يكن هدف الإنجيليين وصف قيامة المسيح بالتفصيل، بل إعلان هذا الحدث الإلهي. لم تكن الأناجيل روايات منهجية، لكنها كما يلاحظ الشهيد يوستينوس كانت "مذكرات" الرسول، أي ملاحظات حول حياة المسيح وتعليمه (Apologia I، 66، 3). في ختام إنجيله، كتب القديس يوحنا أن هناك العديد من الأشياء الأخرى التي صنعها المسيح، لو كُتبَت واحدة فواحدة، فلن يكون هناك مكان في العالم بأسره لاحتواء الكتب. لذلك يكتب كل من الإنجيليين الأربعة عن زيارة واحدة أو زيارتين إلى قبر المسيح للمرأة حاملة الطيب ويترك الباقي خارجًا.

ويترتب على ذلك أن الزيارة الأولى إلى قبر المسيح كانت زيارة سيدتنا والمجدلية، كما وصفها القديس متى: "وَبَعْدَ السَّبْتِ، عِنْدَ فَجْرِ أَوَّلِ الأُسْبُوعِ، جَاءَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَمَرْيَمُ الأُخْرَى لِتَنْظُرَا الْقَبْرَ. وَإِذَا زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ حَدَثَتْ، لأَنَّ مَلاَكَ الرَّبِّ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ وَجَاءَ وَدَحْرَجَ الْحَجَرَ عَنِ الْبَابِ، وَجَلَسَ عَلَيْهِ" (٢٨:١-٢). جميع النساء الأخريات حاملات الطيب جئن بعد الزلزال ووجدن الحجر مدحرجًا.

السيدة العذراء (التي هي "مريم الأخرى") كانت حاضرة في الزلزال وإزالة الحجر من القبر. ظهر لها الملاك قبل أي شخص آخر، وفتح قبر المسيح ووجّه إليها رسالة قيامة ابنها. هذه هي المرة الثانية التي يخاطبها فيها ملاك بهذه الطريقة، ويحدده القديس غريغوريوس بأنه رئيس الملائكة جبرائيل الذي ظهر لها في بشارتها الأولى.

كونها "فائقة الطهارة" و"ممتلئة نعمة" أحسّت السيدة العذراء بفرح عظيم لما حدث، في حين كانت المجدلية خائفة، كما لو أنها لم تفهم حقًا أيًا من الأحداث. كل ما استطاعت رؤيته هو فراغ القبر الذي ركضت لتخبر بطرس والتلميذ الآخر به [١].

لذلك كانت السيدة العذراء هي أول من رأى المسيح وتحدّث إليه. انفتح كل شيء في السماء والأرض أولاً لها ومن خلالها لنا [٢]. هي وحدها احتضنت قدميه المقدستين - على الرغم من أن الإنجيليين لم يذكروا هذا على وجه التحديد لأنهم لم يرغبوا في تقديمها كشاهدة على قيامة ابنها [٣]. من ناحية أخرى، مريم المجدلية، التي قابلت الرب في زيارتها التالية إلى القبر واعتقدت أنه البستاني، قال لها ألا تلمسه، بعدما كانت قد أدركت مَن هو وذهبت للسجود له. بدلاً من ذلك، أُرسِلت لإعلان البشارة للتلاميذ [٤].

ومن المثير للاهتمام أيضًا أن نلاحظ التحيات المختلفة التي وجهها السيد المسيح إلى النساء حاملات الطيب وتلاميذه. قال للنساء: "افرحن" ، وقال للتلاميذ السلام لكم [٥]. كان أول شيء تحتجنه النساء، بعد أن عانين من آلام الصلب، هو الفرح. وكان أول ما احتاجه التلاميذ، إذ كانوا قد اهتزوا من الخوف من اليهود، هو السلام.

السلام مرتبط مباشرة بالفرح. والفرح يفترض السلام. علاوة على ذلك، فإن الفرح والسلام، مع كل الفضائل المسيحية الأخرى، يشكلان ثمر الروح القدس الواحد غير المنقسم (انظر غلاطية ٢٢:٥). ما يعذب الناس ويلقي بهم في الاضطراب والقلق هو الموت. هذا هو السبب في أن أولئك الذين لم يتغلبوا على الخوف من الموت لا يستطيعون معرفة السلام. السلام الحقيقي ممكن فقط من خلال التحرر من الخوف من الموت. يفترض الفرح الحقيقي أيضًا أن نتحرر من هذا الخوف.

يؤكد المسيح أن السلام الذي يقدمه لنا يختلف عن السلام الدنيوي. سلام العالم تقليدي وهَشّ. إنه سلام يعمل "ضمن شروط" الفساد والموت. لهذا يميّز المسيح سلامه عن سلام العالم: "سَلاَمًا أَتْرُكُ لَكُمْ.

سَلاَمِي أُعْطِيكُمْ. لَيْسَ كَمَا يُعْطِي الْعَالَمُ أُعْطِيكُمْ أَنَا" (يو ١٤:٢٧). لكن أيضاً فرح المسيح ليس فرح العالم. إنه ليس تقليدياً ولا عابراً، لكنه راسخ وحصين. إنه فرح "كامل" لا يمكن لأحد أن يسلبه منا.

إن مجيئه إلى العالم هو بشارة الفرح والسلام. السلام والفرح الحقيقيان هما في التحليل الأخير استحقاقات الخليقة الجديدة. لهذا سميت السيدة العذراء، وهي أم الخليقة الجديدة، "علّة الفرح". لكن المصدر الحقيقي لهذا الفرح هو المسيح نفسه (أفسس ١٤:٢). وقيامته من بين الأموات هي تأكيد لفرحنا الثابت والسلام الدائم الذي يمنحنا إياه. أي بحث عن هذه الأشياء بعيدًا عن المسيح والسيدة العذراء هو بالكلية بلا معنى.

[١] أنظر يوحنا ٢:٢٠؛ غريغوريوس بالاماس العظة ١٠،١٨.

[٢] نفسه ١٨، ٨.

[٣] نفسه ١٨، ١٣.

[٤] يوحنا ١٧:٢٠.

[٥] "وللنسوة الحاملات الطيب قلت افرحن، ولرسلك وهبت السلام" قنداق الفصح.